



14 نوفمبر 2006

إعداد: عبد الحليم الكنانى

1- فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراعى

(رجل غيور على دينه)

يقول فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراعى شيخ الجامع الأزهر- رحمه الله- في مقدمة أول عدد من مجلة (المنار) حين كلف الأستاذ البنا بإعادة إصدارها بعد وفاة مؤسسها العلامة المجدد محمد رشيد رضا، قال فيها:

"والآن قد علمت أن الأستاذ حسن البنا يريد أن يبعث (المنار) ويُعيد سيرتها الأولى فسرتني هذا، فإن الأستاذ البنا رجل مسلم غيور على دينه، يفهم الوسط الذي يعيش فيه، ويعرف مواضع الداء في جسم الأمة الإسلامية، ويفقه أسرار الإسلام، وقد اتصل بالناس اتصالاً وثيقاً على اختلاف طبقاتهم وشغل نفسه بالإصلاح الدينى والاجتماعى على الطريقة التي كان يرضاها سلف هذه الأمة".

2- مفتي مصر الأسبق فضيلة الشيخ حسنين مخلوف

(من أعظم الشخصيات الإسلامية في هذا العصر)

"الشيخ حسن البنا أنزله الله منازل الأبرار.. من أعظم الشخصيات الإسلامية في هذا العصر، بل هو الزعيم الإسلامى الذى جاهد فى الله حق الجهاد، واتخذ لدعوة الحق منهاجاً صالحاً، وسبيلاً واضحاً، واستمدّه من القرآن والسنة النبوية، ومن روح التشريع الإسلامى، وقام بتنفيذه بحكمة وسداد، وصبرٍ وعزم، حتى انتشرت الدعوة الإسلامية فى آفاق مصر وغيرها من بلاد الإسلام واستظل برابتها خلق كثير.

عرفته رحمه الله منذ سنين، وتوثقت الصداقة بيننا فى اجتماعات هيئة وادي النيل العليا لإنقاذ فلسطين الجريحة، وتحدثنا كثيراً فى حاضر المسلمين ومستقبل الإسلام، فكان قوياً الأمل فى مجد الإسلام وعزة المسلمين، إذا اعتصموا بحبل القرآن المتين، واتبعوا هدى النبوة الحكيم، وعالجوا مشاكلهم الاجتماعية والسياسية وغيرها بما شرعه الله فى دينه القويم.

ففى الإسلام من المبادئ السامية، والتعاليم الحكيمه ما فيه شفاء من كل مرض، وعلاج لكل داء، وحلٌ لكل مشكله، وفيه من الأحكام ما لو نُقِدَ، ومن الحدود والعقوبات ما لو أُقيم لسعد الناس فى كل زمان ومكان بالاستقرار والاطمئنان، وعاد المسلمون إلى سيرتهم الأولى يوم كانوا أجراء أقباء.

تلك لمحّة من حديثه وهي عقيدة كل مسلم، وأمل كل غيور على الإسلام، غير أنّ العلماء حبسوا هذا العلم الزاخر فى الصدور، ولم يردّوه إلا فى حلقات الدروس وفى زوايا الدور.

أما الشيخ حسن البنا- رحمه الله- فقد أخذ على نفسه عهدًا أن يرشد العائمة إلى الحق، وينشر بين الناس هذه الدعوة، وينظم طرائقها وبعث سبيلها، ويربّي الناشئة تربيةً إسلاميةً تنزع من نفوسهم خواطر السوء، ويعرفهم بربهم ودينهم بدينه الذي ارتضاه الله لهم، فكان له ما أراد، وتحلّل في ذلك من المشاق والمعائب ما لا يقدر على احتمالها إلا الرجل الصبور، والمؤمن الغيور الذي يبغى رضا ربه بما يعمل، ويشعر بدافعٍ نفسي قوي إلى إنقاذ أمته من شرّ وبيلٍ وذلٍّ مقيم.

من الطبيعي- وهذه دعوته- أن يمس السياسة عن قرب، وأن يأخذ في علاج مختلف الشئون على ضوء التعاليم القرآنية، وهنا يقول الأستاذ بحقّ ما نقوله نحن، ويقول كلُّ من درس الإسلام، وأحاط خبرًا بالقرآن: إن الإسلام دين ودنيا، وسياسة ودولة، والمسلم الحق هو الذي يعمل للدين والدنيا معًا، فقد جاء القرآن بالعقائد الحقّة، وبالأحكام الراشدة في العبادات والمعاملات ونظم الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وجاء بالأوامر والنواهي وما يصونها من العقوبات والزواجر، وألزم المسلمين كافة العمل بها، وإقامة الدولة على أساسها، فإذا دعا حسن البنا إلى ذلك فقد دعا إليه الله ورسوله، ودعا إليه الصحابة والتابعون وسائر الأئمة والفقهاء وزعماء الإسلام في كل زمان.

يعيب عليه البعض أنه توخّل في السياسة، وقد نوّهت بالردّ على ذلك في عدة أحاديث أدعّتها في مناسبات شتى، فالسياسة الراشدة من صميم الدين، والصدارة فيها من حق العلماء بل من واجبهم، الذي لا يدفعهم عنه أحد، وما أصيب العلماء بالوهن والضعف وما استعلى عليهم الأدنون وتناول عليهم الأردلون إلا من يوم أن استكانوا لأولئك الذين يحاولون احتكار السياسة، ويستأثرون بالسلطان في الشعوب والأمم الإسلامية فضاءً للبناتهم واغتصابًا للحقوق.

وإذا صحّ فضلُ الدين عن السياسة أو بعبارة أخرى الحجر على رجال الدين في الاشتغال بسياسة الدولة _ بالنسبة لسائر الأديان _ فلا يصح بالنسبة للدين الإسلامي الحنيف، الذي امتاز على غيره بالتشريع الكفيل بسعادة الدين والدنيا معًا.

وقد كان الأئمة في مختلف عهود الإسلام أعلام دين وسياسة، فما بال الناس اليوم ينكرون على علماء المسلمين أن يعنوا بشئون الشعوب الإسلامية، ويغضبوا لكرامتها، ويجاهدوا لإعزازها، وتبصير الناس بما يموه به الاستعماريون من حيل، ويدبرون من فتن ويدسون من سموم.

وما الذي خولهم حق احتكار الساسة والحكم؟! إنَّ من حق العلماء وأعني بهم القائمين بالدعوة إلى الله، لا خصوص حملة الشهادات العلمية الرسمية أن يمثلوا في كل شئون الدولة وخاصة في السلطة التشريعية، حتى لا يشرع في الدولة الإسلامية ما ينافي أحكام الإسلام، وأن يكون للتشريع الإسلامي الذي لهم به اختصاص وإضح الأثر الأول في التشريع والتنفيذ. إن الدعوة في جوهرها دعوة واضحة المعالم، والقلوب الموقفة قد انعطفت إليها، والشعب قد آمن بها، ومن إنكار الحقائق أن يزعم زاعم انصراف السواد الأعظم من الأمة عنها.

وكلما أمضت السياسة في توهينها ازدادت قوة وديوعًا، وأيقن الناس بما فيها من خير وصلاح ومن الإخلاص لولاة الأمور الصديق في القول والأمانة في الأداء، فليعلموا أن الدعوة عقيدة استقرت في النفوس، وأن مقاومة السياسة لها ولداعاتها لا يزيدنها إلا ثباتًا ورسوخًا، وإن من الراسخ في العقائد أن اليهود ومن ورائهم الدولة العاصبة والدولة الاستعمارية هم الذين يكيدون لها ويبدلون كل ما في استطاعتهم لاستئصالها، ولكن هيهات ما يريدون!!

وبعد فإننا نسأل الله تبارك وتعالى للمسلمين خيرًا عميمًا ورشدًا أمينًا وتوفيقًا سديدًا لكل من يدعو إلى خير وارشاد ورحمة واسعة للأستاذ العظيم". (مجلة الدعوة- 13 فبراير 1951م).

3- فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف المصري الأسبق

(الإنسانية هي الخاسرة)

"في مثل هذه الأيام منذ عامين مضيا أذن الله أن يلقي الأستاذ المرشد عصا التسيار من دنيا الناس وأن يتغيّب في الملاء الأعلى مكانًا قدسيًا في ظلّ من رحمة الله ورضوانه فاطمانت نفس طالما أرعجها الفلق واستراح جسّد شدّ ما أرهقته الحركة والاضطراب.

كذلك أصور لنفسي موته رحمه الله كلما استبَدَّ بي الألم وساورني الجزع وأخذ الشعور بالفجعة يُغشِّيني بمثل لفتح الهجير من قمة رأسي إلى أخص قدمي، فلا يكاد ذهني يستوعب هذه الصورة حتى أجدُ برد العزاء ينسابُ في نفسي كما ينساب الماء المثلوج في أحشاء الصديان يلهبها الظمأ ويسعر نارها الهيام.

وكذلك أرجو للمؤمنين أن بصوروا لأنفسهم هذه الصورة كلما وجدوا لوعة الذكرى تغلي في قلوبهم مراجلها وتسنعر في أحشائهم نيرانها، وإنهم لواجدون بها عزاءً مستنيرًا ومستبصرًا قائمًا على تقدير منطقي خاص لا على مجرد أن الموت قدر لا حيلة فيه ولا سبيل إلى دفعه على نحو ما يقال لكل من ذاق الموت من هذه المخلوقات.

لم يخسر الأستاذ البنا بموته تلك شيئًا- أي شيء- هكذا يقول كل أحد، أو هكذا يجب أن يقول كل أحد، سواء المؤمن الذي يسمو بمعنى الجزاء حتى يلتمسه عند الخالق في خوالد الجنات، والكافر الذي يسف بمعنى الجزاء حتى يلتمسه عند المخلوقين في خلود الذكر واعتبار التاريخ.

لقد عاش الأستاذ حسن البنا لغاية آمنَ بها إيمانًا شغلته عن كل ما يشغل الناس سواه، شغلته عن أهله وعن ولده وعن نفسه، فلو أنه سُئِلَ عن كل ساعة أنفقها في تفكيرٍ محرق، أو رحلةٍ جاهدة، أو كتيبةٍ مؤرقة، أو صلاة خاشعة.. ولو أنه سُئِلَ عن مقدار التصحية التي بذلها في سبيل إيمانه هذا لاستطاع أن يقول ضحيث بمالي، وبولدي وراحتي، ولم أقصر حياة الشطف والخشونة على نفسي حتى جاوزتها إلى كل ما لهم صلة بي، ثم أخيرًا ضحيث بنفسي.

ولو أنه سُئِلَ عن الغاية التي تحرَّاه من كل هذا العناء العالي لاستطاع أن يقول بارًا صادقًا: "لم أرد عرض الحياة الدنيا، وإنما أردتُ الله وابتغيتُ نوابه العظيم"، ومثل ذلك حق على الله أن يُرضيه حتى يرضى وأن يفتح له أبواب جنته يتبوأ منها حيث يشاء إن شاء الله.

ولقد عاش الأستاذ البنا في الناس حبيبًا إلى قلوب أوليائه، مهيبًا في نفوس أعدائه، وكانت الكلمة تنطلق من فمه لتملأ الأسماع والقلوب والعقول فيجد فيها الولي بسمة الأمل ونشر الغبطة، ووجد فيها العدو بليلة الفكر وشوك المضجع، ومن حقه رحمه الله، وهو بهذا المحل الرفيع في أمته الإسلامية جمعاء أن يتحرك التاريخ مزهواً ليروي سيرته بين من يُروى سيرهم، ممن قامت دعائم عظمتهم على الإيمان والإنتاج لا على الدعاية والتهرج.

لم يخسر الأستاذ إذن شيئًا بميته تلك.. وإنما خسرت الإنسانية.. نعم خسرت الإنسانية، ولا أقول خسر الإسلام.. فإن الإنسانية تتعرض في هذه الظروف لأشدَّ محنةٍ تعرضت لها في تاريخها الطويل، وهي محنة المادية الثقيلة التي تريد أن تطفر بالمعاني الروحية، لتعود الإنسانية كلها بعد ذلك حيوانيةً تتحرك في دفع الشهوات كما تتحرك الآلات في دفع البخار.

وقد كان حسن البنا لسان الروحانية المبين، وكان حجتها الواضحة ودليلها الهادي، وكان قوتها المليئة حيويةً ونشاطاً.. ولا نحب أن نستمرئ أحضان اليأس حتى نقول: "لقد كان الأستاذ كل شيء وبموته انهار كل شيء.. فإنَّ رحمة الله بالناس أرحب من هذا وأوسع، ولئن مضى حسن البنا إلى ربه، لقد كان فيمن ترك من أبنائه مجتمعين القوة التي تكفل لهذه الدعوة أن تهدي وأن تنقذ إن شاء الله".

إن خير ما يحيى به المؤمنون ذكرى الأستاذ المرشد هو أن يجتمعوا على الحق، وأن يُعاهدوا الله في صدقٍ وإخلاصٍ أن يكونوا أصحابَ رسالةٍ وأعلامٍ خيرٍ ودعاةٍ أخوةٍ وُرسلَ إسلامٍ وسلامٍ".

(مجلة الدعوة- 13 من فبراير 1951م)

4- د. رؤوف شلبي- عميد كلية الدعوة الإسلامية بالأزهر

(قدّم من التصحيحات أغلاها)

"شغل نفسه بالدعوة، وقدّم من الجهود أضناها، ومن التصحيحات أغلاها وأعمقها، في سبيل إرساء دعائم الحق، وتُصرة الدين".
(كتاب: حسن البنا ومدرسة الإخوان المسلمين)

5- فضيلة الشيخ علي حسب الله أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم

(البناء فهم الدين على أنه عمل متواصل لإعزاز الأمة)

"في صيف سنة 1927م دخلتُ مكتبة دار العلوم فوجدتُ الداعية المخلص إلى الله في دعواه الشيخ: محمد عبد العزيز الخولي رحمه الله ومعه شباب ممن تخرجوا ذلك العام في دار العلوم، وما كاد الشيخ يرد التحية حتى قال: تعال أسرع إن صاحبك هذا "حسن البناء" عُيِّن مدرسًا ببلدكم الإسماعيلية وهو غير مستريح لهذا التعيين، فتحدثتُ إليهما حديث المعترز ببلده، وذكرْتُ للزميل الكريم ما في طباع أهل تلك البلد من التودد إلى الوافد عليهم، وأنه سيجد فيهم أهلاً بأهل، وإخواناً بإخوان، وقد صادف هذا الكلام هوى في نفس الشهيد رحمه الله، ظهرت آثاره بعد سفره.

جاء الفقيدُ الإسماعيلية عقب نزاعٍ ديني انقسم فيه المسلمون قسمين: قسم متمسكٌ بالقديم على علاقته، وآخر عاملٌ لإصلاح عقائد الناس وتطهيرها من أدران البدع والخرافات، وظهر الخلاف في مسائل فرعية كان كل فريق يتمنى أن يسمع من الداعية الجديد ما يؤيد وجهة نظره فيها، ولكن حسن البناء كانت غايته أسمى وأعمق من أن يُثير خلافاً أو ينصر فريقاً على آخر، كانت غايته أن يُؤلف بين القلوب بالمحبة وبوجهها إلى الله، ويعدها للتضحية في سبيل الحق، ويرى أن هذا كفيلاً برفع أسباب النزاع، فإن النفوس المطاهرة والقلوب الخالصة في منعةٍ من وساوس الشيطان وعوامل الفرقة والخذلان.

وقد كان له ما أراد بالنية الصادقة والإخلاص إلى الله، وإذا كان قد تقدمه من المصلحين في العصر الحديث من كان عمله نظرياً يبدأ من أعلى أو من الوسط فإن حسن البناء رأى أن يبدأ من الأساس الذي بدأ به النبيون دعواتهم، وهو إصلاح العامة والفقراء، فلم يعتمد في بادئ أمره على المال ولا على الأغنياء، ولهذا كان يُفضّل في دعوته أن يغزو المجالس الشعبية العامة كالمقاهي، وشهدت الإسماعيلية بجهوده انقلاباً هاماً، فإن ذلك الشباب الذي أعماه الجهل وأصله الفساد الشائع بين الناس، والذي ينس العقلاء من إصلاحه، انقلب شباباً متديباً متحمساً للدين معتزاً به، وقد فهم لأول مرةً وبطريقةٍ عمليةٍ أنّ الدين ليس عبادة في المحراب فقط، بل هو مع هذا عملٌ متواصلٌ قوي لجمع الشمل وتأزر القوى وإعزاز الأمة، وإحلالها المحل اللائق بها، ومن الرعيّل الأول ألقت الجماعة "الإخوان المسلمون" التي كان أول شعار لها «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» وأسمى غايتها «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ»، ثم نمت الشجرة وأبنت وأنت ولا تزال تُؤتي أكلها كل حينٍ بإذن ربها فبارك الله فيها، ومَنع غارسها برضوانه، وأنسه بالذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً". (مجلة الدعوة- عدد 105).

6- د. محمد يوسف موسى الأستاذ بكلية أصول الدين

(داعية أول عاش لرسالته)

"لا بد لكل رسالةٍ ما من دعاةٍ يقومون بها، ومن داعيةٍ أول يعيش لها وبها، ولعل أهم ما يميز الداعية الأول بعد ذلك عمله على كشف الأكفاء لمعاونته في تحقيق رسالته، وعلى كسبهم أنصاراً له واستبقائهم دائماً بجانبه.

وقد كان صديقنا المغفور له الأستاذ حسن البناء "داعيةً" دينياً واجتماعياً من الطراز الأول، قد جمع الله تعالى له كل ما يجب لنجاح الدعوة، ولعل من أهم ذلك ما لمستته فيه من بصره النافذ بمن يصلحون للقيام معه بدعوته، ثم عمله على ضمّهم إليه بكل فلوبهم وعقولهم ومواهبهم، عرفت ذلك منه بخاصة، حين رغب إليّ وآخرين معي في أن نكون رفقاء له في رحلةٍ من القاهرة إلى الإسكندرية ثم رشيد بعد الحرب الماضية.

وأملنا قوي في أن تزداد الدعوة.. دعوة الإخوان المسلمين.. كل يوم قلوباً وعقولاً جديدةً، ولا سيما في الأيام التي تنتظر الأمة منهم الكثير، وتدعوهم إلى التقدم بما يرون من خططٍ ودراساتٍ ومشروعاتٍ للإصلاح". (مجلة الدعوة- عدد 105)

7- د. عبد العظيم المطعني الأستاذ بجامعة الأزهر

(دعوة البناء لنمو)

"لم يستطع الغرب أن يبتلع بلاد الشرق الإسلامي عن طريق الحروب الصليبية التي باءت بالفشل، ولم ينصرف الغرب عن التفكير في الشرق بعد فشل تلك الحروب، فحلت مساعي الاستعمار الحديث المسلحة محل تلك الحروب، وخرجت قوافل التبشير إلى ربوع آسيا ومجاهل أفريقيا يساندها تعصبٌ حاقدٌ على الإسلام والمسلمين، ووضعت الخطط السرية لصراف المسلمين عن دينهم ووضعت بإرائها الاعتمادات المالية السخية للانفاق عليها حتى تبلغ مرادها، فأصبح الإسلام والمسلمون بين فكي كماشة: صراع عسكري يدك المعائل ويحطم الحصون.. وصراعٌ فكريٌّ ينتزع الإسلام من القلوب انتزاعاً أو يُشوّه صورته في نفوس بنيهِ؟!

وقد تعرّض الشرق الإسلامي لأحداثٍ عنيفةٍ أطاحت بالكثير من معالم حضارته فحروب أو غزوات التتار والمغول التي انتهت بسقوط بغداد ثم الحروب الصليبية ثم تأمر دول أوروبا على دول الخلافة وإسدال الستار على سياسية الباب العالي "الرجل المريض" وتقسيم ميراثه بينهم، وتقسيم الأقطار الإسلامية إلى دويلات كل هذه أحداثٌ حرّكت المشاعر وأيقظت الهمم في كل مكان، وقد انضم إليها سببٌ آخر داخل الأقطار الإسلامية نفسها وهو تخلف المسلمين وبعدهم عن دينهم وتفككهم في وقتٍ كان ينبغي أن يكونوا على مستوى الأحداث المحيطة بهم لمقاومتها ورأب ما أحدثته وتحدثته من صدوع؟!!

وكان من رد الفعل أن ظهرت حركات الإصلاح في مواقع متعددة من البلاد الإسلامية، قامت حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المعروفة بالحركة الوهابية، وكانت ثورة على البدع المستحدثة في الدين ومحاولة لتنقية الدين مما علق به من شوائب، وكان مسرحها شبه الجزيرة العربية وقامت الثورة المهدية في جنوب وادي النيل وكانت تهدف إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي في إطار التوجهات الدينية التي حاول الاستعمار طمسها وتشويهها. وفي شمال غرب أفريقيا قامت الحركة "السوسية" لكنها كانت تركز على التربية الروحية والنزعة الصوفية أكثر من اهتمامها بمشكلات الحياة.

وقام الشيخ جمال الدين الأفغاني بدعوته المعروفة حول إنشاء الجامعة الإسلامية ولكن مطلبه كان عزيز المنال؛ لأنه مطلب سياسي يقل من يستجيب له من السادة الكبار.

والتف حول هؤلاء تلاميذ لهم اتجهوا إلى المنهج الأكاديمي في الدعوة، وظلت قطاعات الشباب في كل مكان تنتظر من ينفث فيها روح القوة، ويلمس بتوجيهه شغاف قلوبهم، وقد ادخرت العناية الإلهية لهذه المهمة الجليلة الإمام الشيخ حسن البنا الذي أصبح شعله لم تنطفئ رغم محاولات الحاقدين من عملاء الاستعمار وأعداء الإسلام محليين ومستوردين.

شباب يدعو الشباب إلى الإسلام:

بدأ الإمام الشهيد دعوة الشباب إلى التمسك بالدين في وقت مبكر من عمره إذ كان في الثانية والعشرين منه بعد تخرجه من دار العلوم بعام واحد، وشاب في هذه السن المبكرة بضطلع بهذه المهمة الجليلة، فهو شاب نشأ في طاعة ربه وعبادته ولم تعرف حياته "الباكورة" لهو الشباب وعينهم، وإلا بدأ دعوته في مرحلة متأخرة قطعاً.

انجس الإمام الشهيد- إذن- إلى إصلاح عقيدة الشباب وفكره فأنشأ أول دار للإخوان المسلمين بالإسماعيلية فكانت القطرة التي انهمرت منها الغيث وعم القمم والسهول، وبأشرف دعوته بعقل ناضج وأسلوب واضح.

منذ عام 1928م كانت دعوته من أول عهدها شعبية فيم الشباب وجوههم شطرها، وسرعان ما خرجت من مدينة الإسماعيلية إلى كل أنحاء العالم ثم انتقلت إلى الأقطار الإسلامية والعربية في سرعة البرق ورقة النسيم.

وقد وهب الله الإمام الشهيد البيان الواضح والأسلوب الحكيم إلى ما عمرت به شخصيته من أدب النفس واستقامة السلوك وفقهه بمقاصد الإسلام، وحفظه للقرآن الكريم والوقوف على أسرار ومعانيه، وروايته للحديث، وإلمامه بعبر التاريخ وفهمه لسيرة أصحاب الرسول- صلى الله عليه وسلم-، ومعرفته بمواطن الضعف في الأمة، وبهذا قد استكمل الإمام الشهيد كل مقومات الداعية المؤثر، والمصلح المطاع كان يعرف إلام يدعو؟ وكيف يدعو؟ ومن يدعو؟ ومنى يدعو؟ بقلب شجاع وسلوك طيب، ولسان فصيح، ووجه ساطع، فلا غرابة أن يلتف الشباب كله في عزم وثبات حول ذلك المصلح المخلص.. إلام كان يدعو الإمام الشهيد؟

كان الإمام متبعاً وليس مبتدعاً، والاتباع هو منهج كل مصلح صادق، أما الابتداع فإنه مسلك كل دجال كاذب، كان الإمام متبعاً ولأنه اتخذ من التمسك بالدين طريقاً للإصلاح، وفي هذا يقول "دعوتنا إسلامية بكل ما تحمل الكلمة من معاني فافهم ما شئت، وأنت في فهمك هذا مقيّد بكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة السلف الصالحين من المسلمين، فأما كتاب الله فهو أساس الإسلام ودعامته، وأما سنة رسوله فهي مبينة الكتاب وشارحته، وأما سيرة السلف الصالح فهم رضوان الله عليهم منقاد وأوامره، وهم الصورة الماثلة والعملية لهذه الأوامر والتعاليم، وكان هدف الإمام من تلك الدعوة أن يعيد الشباب المسلم إلى الإسلام الصحيح بجلاء مفاهيمه، وإيضاح مراميه، فالإسلام منهج حياة بكل ما تتسع له كلمة "الحياة" من معاني فهو عقيدة وشريعة، ودنيا وآخرة، بيان وفكر وجهاد ونضال قد وسع النشاط البشري كله، لكل مسألة فيه حكم وتوجيه، ولكل مشكلة حل، هو مع المسلم أينما حل في صحوه ونومه، في معمله ومصنعه، وفي محرابه ومصلاه، في أكله وشربه، هو معه في كل شئونه، وكل محاولة للإصلاح لم تتخذ من إسلام زادها وعدتها باءت بالفشل، ولا سبيل لإصلاح شئونها إلا بالعودة للإسلام، ولهذا فإنه يطالب بالخطوات الآتية:

1- إصلاح القوانين: وهذا يكون بموافقة القوانين لأصول الفقه الإسلامي

2- إصلاح مظاهر الاجتماع: وهذا يكون بموافقة السلوك لمبادئ الدين الحنيف.

3- محاربة الإباحية: وهي تتحقق بقمع الشهوات والتخلي بالفضائل.

4- تنظيم التعليم: بحث يهدف التعليم إلى حماية العقيدة واستقامة الخلق.

5- المؤاخاة بين المسلمين: بحيث يكون المسلمون رجلاً واحداً وقلباً واحداً وبيداً واحداً وكونوا عباد الله إخواناً.

جاءت دعوة الأستاذ الإمام رد فعل هام للأحداث الخطيرة التي تجمعت آثارها في مطلع العشرين، فقد نشطت الأصوات التي كانت تنادي بترك الحجاب وتدعو إلى سفور المرأة، ونشطت الأقلام التي كانت تدعو إلى القضاء على اللغة العربية الفصحى لتحل العامية محلها، بل وتطالب بأن تكون الكتابة بالحروف اللاتينية لتحل محل الحروف العربية، وأخذ من يُسمون أنفسهم "أنصار المرأة" ينادون بالاختلاط بين الرجال والنساء في كل مكان بحجة تحرير المرأة، كما فعلت المرأة الأوربية وتعرضت لمبادئ الإسلام نفسه للإهمال فترك العمل بكتاب الله وشريعته في الحكم ودور القضاء والنبابة، وحلت محلها القوانين الوضعية، وصار الربا مصدرًا من مصادر الكسب لدى الجماعات والأفراد، ونشط عملاء الاستعمار في توجيه الطعنات للإسلام في الصميم، فقبيل قيام الأستاذ الإمام بدعوته الشجاعة بعامين أصدر الدكتور طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي، وقد طعن في صدق القرآن الكريم، وقال إن ورود قصة إبراهيم وإسماعيل في القرآن ليس بدليل كافٍ على وجودهما التاريخي، كما شبه القرآن بقصائد أمية ابن أبي الصلت الشاعر الجاهلي وبرئ الدكتور طه حسين في مقدمة كتابه ذلك من دينه وعقيدته، وأخذ يُدرّس تلك السموم التي احتوى عليها كتابه للشباب في الجامعة المصرية الناشئة.

هذه النزعات الخطيرة لو لم تقم في وجهها دعوة صلبة تؤمن بالحقّ وتذود عنه- وقد تمثلت تلك الدعوة في جهود الإمام الشهيد- لانترعت الإيمان من قلوب الناس انتزاعًا وخاصة الشباب، ومن هنا تكتسب دعوة الإمام البنا قيمتها.

ولم يأبه أنصارها مما أصابهم في سبيلها من أذى، والتاريخ على هذا خير شاهد، قيامًا بالحق، وذودًا عن الدين وحراسة لقيمه في إباءٍ وشمم، وما زالت دعوته تُؤتي ثمارها- ولا تزال حتى ينصر الله حزبه وجنده وحند الله هم الغالبون.

سر بقائها واستمرارها:

تجاوزت دعوة الإمام البنا الخمسين عامًا تعمل بجدّ وإخلاص لنصرة الإسلام عقيدةً وشريعة، وهي قوة وصلابة لم يلحقها تغيير ولا تبديل في مبادئها الأصيلة التي عرفت بها من إنشائها، ولم يزهد أنصارها فيها أنهم تعرضوا لضرباتٍ غاشمةٍ ثلاث كرات استشهادهَا واعتقالا وسجنًا واضطهادًا وتعذيبًا ورميًا لهم بالإرهاب والوحشية، بل أنهم كانوا يخرجون من كل محنة وهم أصلبُ عودًا وأثبت قدمًا، حتى أصبحت حركة الإخوان أكبر حركة إسلامية في العصر الحديث وأبقى أثرًا.. فهل لذلك ولهذا سبب؟ نعم:

أما ثباتها واستمرارها فلأنها دعوة قامت على الحق والحق ثابت لا يتغير، فمبادئ الإسلام هي منذ أقرها عليه الصلاة و السلام، وكل دعوة تعتمد على مبادئ الإسلام لا ينالها تغيير ولا تبديل، أما النظم الأخرى عُرضةٌ للخطأ، ولهذا فإنّ الخمسين عامًا هذه قد تبدلت فيها أحوال وتغيرت.. فكم من المذاهب قامت ثم سقطت وحلت محلها اتجاهات أخرى مرات ومرات في كل بلدٍ من بلدان العالم المعاصر، بل إن مصر نفسها- موطن الدعوة قد مرّت بكثيرٍ من التجارب الفكرية والسياسية خلال هذه المدة، ويقرر اليوم منهج ثم يأتي الغد فيلغي ويبحث عن بديل له، بل إن عهد الثورة المصرية الأخيرة قد عرف حتى اليوم اتجاهات عدة وما زلنا نرى سلوكًا يحل محل سلوك، نستقبل الجديد بالثناء والأمل ونودع القديم بالذم ونرميه بالقصور.

وأما التفاف الشباب حولها في عزمٍ وثباتٍ فيفسره لنا العلامة ابن خلدون في مقدمته حيث يقول: إن العرب لا يجتمعون إلا حول قيادة دينية ولا ينتصرون إلا بقيادة دينية، وقد صدق التاريخ هذه القاعدة فقبائل العرب المتفرقة المتناحرة صنع منها الإسلام بقيادة محمد- صلى الله عليه وسلم- خير أمة أخرجت للناس دكت عروش كسرى فارس وقبصر الروم وملأت الأرض عدلاً ونورًا، وصلاح الدين الأيوبي حينما تمسك بالإسلام وحد صفوف العرب والمسلمين جميعًا، فكانت كل المنابر في العالم الإسلامي تدعو له مخلصًا بالنصر، ويؤمن المصلون في صوبٍ هادر قائلين آمين.

ذلك هو الطريق فهل نحن سالكوه؟.. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)﴾ صدق الله العظيم.